

اللغز المحير لواشنطن : هوية المقاومة العراقية؟!

16-11-2003

ورغم أن المقاومة المسلحة المناهضة للولايات المتحدة تبقى في الغالب "شأنًا سنياً"، إلا أن هناك اتجاه جديد بدأ يظهر، أقلق كثيرا البنتاجون، حيث بدأ بعض الشيعة والأكراد في الانضمام إلى الجماعات المقاتلة. واتجاه آخر مقلق هو تشكيل جماعات تضم توجهات مقاتلة مختلفة (على سبيل المثال وطني وقبلي)، ولدى هذه الجماعات إمكانية - ولو محدودة- لتوسيع حرب العصابات إلى خارج المناطق السنية..

تشير مصادر متطابقة من داخل العراق بأن القوات الرئيسية المقاتلة في العراق تتشكل من الوطنيين، الإسلاميين والمحاربين القبليين السنيين، وهؤلاء توحدتهم حركة المقاومة لإنهاء الاحتلال الأمريكي.

ومن المحتمل أن تستمر حرب العصابات في التركز في المناطق السنية في الأمد القريب، لكن اتجاهها جديدا يلوح في الأفق : تعاون المقاتلين من مختلف التوجهات والمناطق، وأهم ما يميزهم: التدريب العسكري، رغم أن قلة منهم فقط لديهم خبرة في التكتيكات القتالية. وبالنسبة للأمريكان، فإن أكبر لغز في حرب العراق المستمرة، ليس ما إذا كان الزعيم السابق صدام حسين حيا أم ميتا، ولكن من يقف وراء المقاومة العراقية، أو بالأحرى من يحارب قوات الائتلاف؟. وأما ما أسمته الحكومة الأمريكية بـ"البعثيين" أو أتباع "القاعدة"، فهذا من التصليل المكشوف، الذي يضر القوات الأمريكية أكثر مما يخدمها، إذ من الصعب أن تحارب قوة لا تعرف الكثير عنها أو أن معلوماتك عنها غير صحيحة.

وإن مجرد القول بأن المقاتلين هم من "البعثيين"، فهذا من شأنه أن يثير اللبس والحيرة. وإذا كان لدى حزب البعث الحاكم أكثر من مليون عضو قبل الغزو الأمريكي، وإذا كان معظم البعثيين السابقين يحاربون القوات الأمريكية، فإن معنى هذا أن الجنود الأمريكيين سيواجهون مئات الآلاف من المقاومين!، وهو ما ينقضه الواقع.

وإذا كان كبار زعماء البعث يقودون المقاومة، فالمفترض أن حرب العصابات ستكون أكثر تنظيماً مما يشهد به الوضع الراهن، ومن المحتمل أن يكون بعض البعثيين قد انضم إلى المقاومة، فيما اصطف آخرون مع المحتل الأمريكي، والأغلبية اختاروا الحياد. وأهم سبب دفع لاعتقاد عدد من المحللين بأن رئيس النظام السابق ليس مسئولاً عن المقاومة، هو أن حملة المقاتلين ليست منسقة من مركز قيادي كبير. وبالتأكيد، فإن أقلية من الموالين الأوفياء للرئيس السابق يمكن أن تقود بعض الجماعات المقاتلة، لكن من المستبعد أن يقودوا أكثر مجموعات المقاومة العسكرية.

هذا، ويرجح بعض المتابعين للشأن العراقي مشاركة القاعدة في المقاومة، لكن ليس بالشكل المباشر، إذ لا يُوجد إلى الآن أي دليل ملموس لمشاركة القاعدة هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنه القاعدة أخذت في المدة الأخيرة شكل "الزعيم الأيديولوجي"، والعامل المساعد الاستراتيجي (وأحياناً المؤيد اللوجستيكي لبعض المقاتلين)، لكنها لا تمثل قوة قتال على الأقل في العراق.

وبناء على مصادر استخبارية وعسكرية وتخمينات المحللين، فإنه يبدو أن أبرز قوة مقاتلة (فيما يتعلق بالحجم والتأثير المحتمل) هم الوطنيون العراقيون (الوطنيون مصطلح عام يضم أحرار البلد وأهل الغيرة من الجنود وغيرهم ليس لهم انتماء واضح)، ورغم أنهم لا يخضعون لسيطرة قيادة واحدة، إلا أن على رأس أولويتهم تحرير العراق من الاحتلال الأجنبي، وأغلبيتهم من الجنود

العراقيين سابقون وأفراد القبائل السنية. كما يشارك عدد قليل من الشيعة و الأكراد في بعض جماعات المقاومة الوطنية.

وهذا ينبهنا إلى عدة أمور مهمة حول تأثير القوة المقاتلة الوطنية على الحرب.

أولا، يحاول الوطنيون العمل في كل مكان، ولا يحصرون هجماتهم في المثلث سني، حيث يعطيهم هذا المجال القومي فرصة لقيادة العمليات الرئيسية في المستقبل، والجانب السليبي هو خطوط اتصالاتهم المعرضة للهجوم.

ثانيا، يُنظر إلى الوطنيين كحماة العراق والمدافعين عنها، وينحدرون من المناطق السنية، التي تمنحهم دعما شعبيا تلقائيا هذه المناطق، بما في ذلك المثلث السني ومناطق العرب في الموصل وكركوك، الأمر الذي يعقد من مهمة إلقاء القبض عليهم. مع قلة من الشيعة أو الأكراد في صفوفهم، فإن وضعهم أضعف كثيرا في الجنوب والشمال الواقع تحت سيطرة الأكراد، رغم أن بعض الهجمات المنعزلة ضد القوات البريطانية في البصرة يمكن أن تُنسب إلى الوطنيين.

الثالث، قدرة الوطنيين جيدة بوجه عام في استخدام التكتيكات المقاتلة التقليدية، مثل الكمائن، واستخدام الأسلحة العادية والخفيفة، ولديهم معرفة متخصصة في تشغيل الصواريخ المضادة للدبابات، مدافع الهاون وصواريخ الدفاع الجوي المحمولة

الرابع، الوطنيون غير متحدين، وغالبيتهم ناقمون على النظام المخلوع، وقد يكون بعضهم ممن انتسب إلى حزب البعث في السابق. كما أن الجماعة المقاتلة الرئيسية ضمن الوطنيين لا يعرفون باسم معين، ولديهم ميل إلى عدم إعلان وجودهم على الإطلاق، وهذه أحد "تكتيكات" المقاتلين التي تجعل من الصعب اختراقهم وتفجيرهم من الداخل.

وثاني أكبر قوة في المقاومة العراقية هي القبائل السنية. ومن منظور بعض هذه القبائل، فإن لديها سبب حيوي لمحاربة القوات الأمريكية، ففي السنوات الأخيرة تحت حكم نظام صدام حسين، تمتعت القبائل السنية بامتيازات من دون المجموعات الأخرى في العراق، وقد انتهى ذلك بالاحتلال الأمريكي. علاوة على ذلك، فإن الشيوخ والزعماء القبليون مستاؤون من خطة واشنطن لتعيين حكومة بقيادة الشيعة تحت السيطرة الأمريكية، الأمر الذي سيفرض (في نظرهم) هيمنة شيعة العراق على البلد، وعليه، فإن مقاومة بعض القبائل السنية، تبدو للمراقبين أنها أقرب إلى رد فعل على الخطط الإيرانية الأمريكية. وليس كل القبائل السنية منخرطة في حرب العصابات، إذ أن بعض الشيوخ يتعاونون مع واشنطن. والمقاتلون العراقيون السنة نشطاء حيث تعيش قبائلهم، لذا فإنه ليس صدفة أن المثلث السني قد أصبح منطقة القتال الرئيسية.

ويمثل الإسلاميون القوة المقاتلة الرئيسية الثالثة في العراق، وتضم مقاتلين أجنب ممن تسللوا إلى العراق للانضمام إلى الجماعات الإسلامية غالبا. ورغم أن عدة جماعات مسلحة غير سنية أحيانا تهاجم قوات الائتلاف، لكن ليس واردا أن يتحولوا في الوندى القريب إلى قوة مقاتلة رئيسية، لأن زعماءهم يعتقدون أن حرب عصابات ستضر بأهدافهم. وتقول بعض المصادر العسكرية المطلعة، أن هناك بعض المجموعات النضالية الشيعية المخالفة (تحت سيطرة طلبية علم متوسطي المستوى) تتعرض لقوات الائتلاف في الجنوب بالكمائن والهجمات .

ورغم أن المقاومة المسلحة المناهضة للولايات المتحدة تبقى في الغالب "شأنا سنيا"، إلا أن هناك اتجاه جديد بدأ يظهر، أقلق كثيرا البنّاجون، حيث بدأ بعض الشيعة والأكراد في الانضمام إلى الجماعات المقاتلة. واتجاه آخر مقلق هو تشكيل جماعات تضم توجهات مقاتلة مختلفة (على سبيل المثال وطني وقبلي)، ولدى هذه الجماعات إمكانية - ولو محدودة- لتوسيع حرب العصابات إلى خارج المناطق السنية..